المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 64
تأريخ النشر: 20 فبراير 2025 م

منهج التبريزي في شرح القواعد اللغوية (دراسة تحليلية)

Tabrizi's method in explaining linguistic grammar (Analytical study)

إعداد: الدكتورة/ سلمى محمد المطيري

أستاذ مساعد في علم اللغة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة الكويت

الملخص:

يستعرض هذا البحث منهج التبريزي في شرح وتحليل اللغة العربية من خلال شرحه لديوان "الحماسة" لأبي تمام، حيث يعتبر هذا الشرح مثالًا واضحًا على كيفية تطبيق التبريزي للمفاهيم اللغوية المتنوعة في تحليل النصوص الأدبية. وقد اعتمد التبريزي على تحليل الظواهر الصوتية والنحوية والصرفية لتوضيح البناء اللغوي للنصوص الأدبية وتوجيه المعنى بشكل دقيق. يُظهر البحث أن التبريزي كان يشدد على أهمية فهم المعنى النحوي واللغوي للنصوص الأدبية، إذ كان يرى أن معرفة القواعد النحوية هي الأساس لفهم أعمق للنصوص وتحليلها بشكل سليم. كما كان يتجنب التبريزي استخدام المفاهيم الفلسفية المعقدة أو التأثر بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي، حيث كان يميل إلى تبسيط وتحقيق الأغراض التعليمية للمتعلمين من خلال أسلوب سهل وواضح.

يتضح من خلال هذا البحث أن التبريزي كان يستخدم المنهج المتكامل في تدريس اللغة، الذي يربط بين كافة مستويات اللغة: الصوتية، الصرفية، والنحوية. حيث يتم عرض القواعد النحوية والصرفية من خلال النصوص الأدبية، مما يساهم في تعزيز قدرة المتعلم على فهم القواعد وتطبيقها في السياقات العملية. وأكد البحث أيضًا على دور النصوص الأدبية في توضيح القواعد النحوية بشكل تطبيقي، إذ تساهم هذه النصوص في تجسيد المعاني النحوية وتوضيحها بشكل ملموس.

في ضوء ما تم استعراضه في هذا البحث ونتائجه توصي الباحثة بالاستفادة من منهج التبريزي في تدريس اللغة العربية من خلال الربط بين المستويات الصوتية والصرفية والنحوية لزيادة الفهم العميق للنصوص، وتطوير أساليب تدريس النحو والصرف من خلال الاستفادة من منهج التبريزي في تحديث مناهج تدريس النحو، خاصة في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: التبريزي، شرح الحماسة، النحو، الصرف، الصوتيات، القواعد النحوية، المنهج المتكامل، تعليم اللغة العربية

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 64
تأريخ النشر: 20 فبراير 2025 م

Tabrizi's method in explaining linguistic grammar (Analytical study)

Dr. Salma Mohammed Al-Mutairi

Assistant Professor of Linguistics, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, State of Kuwait

Abstract:

This research examines the method of al-Tabrizi in explaining and analyzing the Arabic language through his commentary on the “Hamasah” by Abu Tammam. This commentary serves as a clear example of how al-Tabrizi applied various linguistic concepts in analyzing literary texts.

The study shows that al-Tabrizi focused on the analysis of phonological, syntactic, and morphological phenomena to clarify the linguistic structure of literary texts and direct meaning accurately. The research highlights that al-Tabrizi emphasized the importance of understanding the grammatical and linguistic meaning of literary texts, as he believed that knowing grammatical rules is fundamental to a deeper understanding and analysis of texts. Al-Tabrizi refrained from using complex philosophical concepts or being influenced by Greek philosophy and Aristotelian logic, opting instead for a simplified approach to fulfill his educational goals for his students.

This study reveals that al-Tabrizi employed a comprehensive approach to teaching the language, linking all levels of language: phonological, morphological, and syntactic. Grammatical and morphological rules are presented through literary texts, helping enhance the learner’s ability to understand and apply these rules in practical contexts. The research also emphasizes the role of literary texts in illustrating grammatical rules in an applied manner, as these texts vividly demonstrate and clarify grammatical meanings.

In light of what was reviewed in this research and its results, the researcher recommends benefiting from Al-Tabrizi’s approach in teaching the Arabic language by linking the phonetic, morphological and syntactic levels to increase the deep understanding of texts, and developing methods of teaching grammar and morphology by benefiting from Al-Tabrizi’s approach in updating grammar teaching curricula, especially in light of modern technological developments.

Keywords: Al-Tabrizi, Explanation of Al-Hamasa, Grammar, Morphology, Phonetics, Grammar Rules, Integrated Curriculum, Teaching Arabic Language

1. المقدمة:

تعدُّ اللغة العربية من أكثر اللغات التي تحظى بتاريخ طويل ومعقد من التحليل والتفسير، حيث كانت محطَّ اهتمام العلماء منذ فجر الإسلام وحتى العصر الحديث. وقد أسهم العديد من المفكرين واللغويين في تطوير أساليب تعليم وتفسير اللغة العربية، وكان من أبرز هؤلاء العلماء التبريزي، الذي قدم إسهامات كبيرة في شرح وتحليل ديوان "الحماسة" لأبي تمام، وفي تفسير المسائل اللغوية والنحوية التي تميزت بمقاربات تعليمية مبتكرة.

إن المنهج اللغوي الذي اتبعه التبريزي كان يعتمد على تكامل الجوانب الصوتية والنحوية والصرفية، ويُظهر بوضوح كيف يمكن للدرس النحوي أن يكون أداة لفهم النصوص الأدبية على مستوى أعمق وأدق. فقد أسهم التبريزي في ربط الدراسة النحوية والصرفية بالجانب الأدبي، حيث ركز على أهمية دراسة النصوص الأدبية وفهم تراكيب الجمل والصيغ والأصوات في تفسير المعنى بشكل دقيق، مما يعكس الفهم العميق والواعي للغة العربية كأداة تعبير عن الفكر والشعور.

كان التبريزي في شروحه لا يقتصر على النظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من القواعد الجافة بل كان يسعى إلى فهم وظيفة كل قاعدة في بناء المعنى وتحقيق الدلالة المرادة من النصوص الأدبية، وهو ما يميز منهجه في التعليم. ففي تفسيره لظواهر لغوية مثل الإدغام والإبدال والقلب، كان يربط هذه المسائل بمستوى المعنى الذي يطرحه النص الشعري، وهذا ما يُعتبر خطوة متقدمة في تاريخ التحليل اللغوي.

علاوة على ذلك، ساهم التبريزي في تطوير أساليب تعليمية تقوم على الفهم العميق للغة وارتباط قواعدها بما تقدمه من معانٍ، وكان له دور بارز في استخدام النصوص الأدبية كنموذج تطبيقي لفهم القواعد النحوية والصرفية. وقد كان منهجه يعتمد على ضرورة فهم اللغة من خلال النصوص، بحيث تصبح القواعد ليست فقط مفردات نظرية، بل أدوات تُستعمل في الحياة اليومية للفهم والتعبير.

1.1. مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كيفية الاستفادة من منهج التبريزي في تدريس القواعد اللغوية والنحوية في العصر الحديث، وخصوصاً في مجال تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها وفي نظام التعليم عن بُعد. تتعلق المشكلة أيضًا بكيفية تحقيق التكامل بين المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية) في تدريس اللغة العربية وتطبيق هذه القواعد في السياقات الأدبية والتربوية المعاصرة.

2.1. أهمية البحث:

يتمثل في تسليط الضوء على منهجية التبريزي في شرح وتفسير القواعد اللغوية والنحوية من خلال تعليقه على "ديوان الحماسة" لأبي تمّام. هذه المنهجية تسهم في تطوير فهم أعمق للغة العربية في أبعادها الصوتية والصرفية والنحوية، فضلاً عن إبراز دور النصوص الأدبية في شرح القواعد النحوية. كما يبرز البحث قيمة مناهج التعليم التقليدية وكيفية استفادتها من التفسير اللغوي في تدريس القواعد اللغوية، وبالتالي يقدم البحث إضافة في مجال تدريس اللغة العربية في عصر المعلومات وطرق التعليم الحديثة.

3.1. أهداف البحث:

1. تحليل منهج التبريزي في تدريس القواعد اللغوية من خلال تعليقه على ديوان الحماسة.

2. دراسة العلاقة بين النحو والشعر كما تناولها التبريزي، وكيفية تأثير النحو في توجيه المعنى الأدبي.
3. تحليل الأبعاد الصوتية والصرفية والنحوية في منهج التبريزي، واستخلاص الفوائد التربوية في تدريس اللغة العربية.
4. استكشاف تطبيقات منهج التبريزي في تدريس اللغة العربية في العصر الحديث، خاصة في ظل تطور تقنيات التعليم.

4.1. أسباب اختيار البحث:

1. أهمية البحث في تطوير مناهج تعليم اللغة العربية؛ إذ يعكس منهج التبريزي رؤية تقليدية وفى ذات الوقت حديثة لتعليم القواعد اللغوية.
2. الإسهام في ربط التعليم التقليدي بالحديث، مما يساعد على تقديم حلول تدريسية مبتكرة لتمكين الطلاب من فهم وتطبيق قواعد اللغة العربية بطرق ميسرة وفعّالة.
3. مواكبة التطور التكنولوجي في التعليم، خاصة في ظل انتشار التعليم عن بُعد، وتحديدًا كيفية الاستفادة من منهج التبريزي في هذه الأنظمة التعليمية الحديثة.

5.1. منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي.

2. الإطار النظري

المبحث الأول :علم اللغة التطبيقي: مجالاته، أهميته، ومصادره

مجالات علم اللغة التطبيقي

حدد الباحثون أكثر من عشرين مجالًا لعلم اللغة التطبيقي، وتشمل هذه المجالات الجانب العلمي للغة، وتعلم اللغة الأم، وتعليم اللغات الأجنبية، والاختبارات اللغوية، والتخطيط اللغوي، وصناعة المعاجم. (الراجحي، 1980، ص13)

ويميل بعض الباحثين من علماء اللغة إلى استخدام هذا المصطلح في السياق التعليمي وما يرتبط به، حيث إنهم يواجهون مجالًا واسعًا ومعقدًا، بلا حدود واضحة، يتمثل في "تطبيق" نتائج وأساليب علم اللغة النظري في تحليل اللغة ودراستها في مجالات غير لغوية. وهذا يشير إلى أن اللسانيات التطبيقية تعتبر وسيلة لهدف محدد، وليست هدفًا بحد ذاتها، على عكس اللسانيات النظرية التي تدرس اللغة كغاية بذاتها كما أراد دي سوسير. (عمر، 1974، ص 55)

المطلب الأول: أهمية علم اللغة التطبيقي في تعليم اللغة

يبرز عبده الراجحي أهمية علم اللغة التطبيقي في تعليم اللغة، حيث يقول: "لا يمكن تصور تعليم لغوي حقيقي دون الاستعانة بعلم اللغة التطبيقي، لأنه - كما يرى كوردو - يهتم بالعملية التعليمية للغة ككل؛ فهو المسؤول عن التخطيط واتخاذ القرارات التعليمية، معتمدًا على قواعد العلم في الوصف والتنظيم والتحكم" (خليل، 2002، ص 74)

المصادر الأساسية لعلم اللغة التطبيقي

يُعد علم اللغة التطبيقي علمًا متنوع الروافد والمصادر، ويتفق الباحثون على أن هناك أربعة علوم رئيسية تشكل المصادر الأساسية له.

1- **علم اللغة التعليمي:** يُعتبر فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي، ويركز على الأساليب والوسائل التي تساعد الطلاب والمعلمين في تعلم اللغة وتعليمها، مستفيدًا من نتائج علوم اللغة في الصوتيات، والصرف، والنحو، والدلالة.

يسعى البحث إلى استثمار منهج التبريزي التعليمي بهدف تطوير منهج يجمع بين الأصالة والمعاصرة في تعليم اللغة العربية. (خليل، 2002، ص76)

2- **علم اللغة النفسي:** يتناول هذا العلم السلوك اللغوي للفرد، ويركز على محوريْن رئيسييْن لهذا السلوك: "الاكتساب اللغوي" و" الأداء اللغوي". ويتطلب فهم هذه المحاور معرفة الأنظمة المعرفية لدى الإنسان. (الراجحي، 1980، ص21)

3- **علم اللغة الاجتماعي:** يهتم هذا العلم بدراسة اللغة بوصفها حدثًا اجتماعيًا، ويقوم بتحليل التنوع اللغوي واستخدام اللغة في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات تتحدث نفس اللغة.

ويرى أن تعليم اللغة لأبنائها يجب أن يعكس ثقافة المجتمع، بينما ينبغي عند تعليمها لغير الناطقين بها، نقل ثقافة المجتمع إلى المتعلم الأجنبي (خليل، 2002، ص77).

4- **علم التربية:** يشير عبده الراجحي إلى أن تعليم اللغة يعتمد على سؤالين مترابطين: "ماذا نعلّم من اللغة؟" و"كيف نعلّمه؟". يتناول السؤال الأول "المحتوى" وتجيب عنه علوم اللغة التعليمي والاجتماعي والنفسي، أما السؤال الثاني فيتناول "الطريقة" ويجيب عنه علم التربية (الراجحي، 1980، ص30).

المطلب الثاني: جهود التبريزي التعليمية

أسهم العلماء العرب على مر العصور في نشر اللغة العربية وتعليمها، وألّفوا العديد من الكتب والمراجع لتحقيق هذه الغاية السامية، مدفوعين برغبة صادقة وعزيمة قوية للحفاظ على لغة القرآن الكريم من التحريف أو الخطأ. **(عمر، 1974، ص 97)**

كما أن رغبة الشعوب التي دخلت الإسلام في تعلم اللغة العربية كانت دافعًا كبيرًا للعلماء للإقبال على تعليمها؛ حتى يتمكن المسلمون غير العرب من أداء العبادات والشعائر باللغة العربية وتيسير نطقها بالشكل الصحيح.

أعمال التبريزي في الشروح الأدبية واللغوية

1. تهذيب مقاتل الفرسان
2. شرح اختيارات المفضل
3. شرح بانت سعاد
4. شرح ديوان أبي تمام
5. شرح ديوان امرئ القيس
6. شرح ديوان المتنبي
7. شرح ديوان الحماسة
8. قام التبريزي بشرح هذا الديوان ثلاث مرات، حيث قدم أولًا شرحًا مختصرًا، ثم شرحًا ثانيًا بيتًا بيتًا، وأخيرًا شرحًا مستوفيًا شاملًا.
9. شرح ديوان النابغة الذبياني
10. شرح سقط الزند
11. شرح المعلقات العشر
12. شرح لامية العرب

13. شرح المقصورة
14. مقدمة في النحو
15. ألّفها التبريزي خصيصًا للمتعلمين من الفرس، لتمكينهم من تعلم قواعد النحو العربي مقارنةً بالنحو الفارسي، وهي مقدمة تحتوي على أساسيات النحو وتم إعدادها لتسهيل التعلم.
16. الوافي في علمي العروض والقوافي

بفضل هذه الأعمال وغيرها، حصل التبريزي على مكانة رفيعة في الأوساط العلمية والأدبية، حيث نال تقديرًا وإجلالًا كبيرين، واعتُبِر مرجعًا في اللغة والنحو والأدب. اجتمع حوله مئات من العلماء وطلاب العلم والأدباء الذين استقوا منه علوم اللغة والنحو. يمكن للمرء أن يتخيل قاعات المدرسة النظامية وقد غصت بتلاميذ من مختلف أصقاع العالم الإسلامي، يتوافدون طلبًا للعلم على يد التبريزي. (خليفة، 1970، ص692)

دوافع التبريزي في تصنيف الشروح التعليمية

قام التبريزي بتصنيف شروحه التعليمية بدوافع اجتماعية وعلمية، يمكن إرجاعها إلى ثلاثة أصول:

1. تلبية رغبات معاصريه من المتعلمين والأدباء (قباوة، 2005، ص20)
2. سد الثغرات في الشروح السابقة: فقد كانت بعض الشروح السابقة ناقصة، حيث أن البعض اكتفى بتناول جوانب معينة مثل الإعراب دون المعاني، أو بالعكس، فيما ركز آخرون على الأخبار المتعلقة بالنصوص وأغفلوا الجوانب الإعرابية والمعنوية.(الحافظ ابن جني، 35/3، 36)
3. إرساء منهج تكاملي في شرح الحماسة: تولى التبريزي مسؤولية تحسين تلك المؤلفات، فقام بتنظيمها بشكل متكامل، محققًا منهجًا يتجنب العيوب السابقة ويجمع الجهود المتنوعة لأسلافه في إطار متناسق ومتآلف.(قباوة، 2005، ص150)

المبحث الثاني: التكامل في شرح الحماسة: بين التنظير والتطبيق في تعليم اللغة العربية

قبل التطرق إلى أصول المنهج التكامل في شرح "الحماسة"، يجدر بنا الوقوف على مفهوم "التكامل" وتوضيح أسسه كمدخل حديث في تعليم اللغة العربية.

التكامل: مفهومه وأسسه:

1. التكامل (لغة): يشير الكمال إلى التمام، فـ"تكامل الشيء" يعني إتمامه وتحسينه وإكماله بشكل كامل. (ابن منظور، 112/13)
2. التكامل (اصطلاحًا):يُعرّف التكامل على أنه تفاعل مجموعة من الأشياء بحيث تُكوّن كلًا واحدًا ذا معنى. وهو يعبر عن تحقيق الكلية والكمال والوحدة، وفي التعليم والتعلم يعني أن ما يتعلمه الفرد يصبح جزءًا من شخصيته. (مراد؛ اللقاني؛ الجمل، ص 15، 244)
3. التكامل اللغوي: عرّف أحد الباحثين التكامل اللغوي بأنه "تنظيم يهدف إلى إزالة الحواجز الفاصلة بين عناصر اللغة التي يتعلمها المتعلم، وتنظيمها وتدريسها وتقويمها بطريقة تحقق ترابطها وتوحيدها، مما يساعد المتعلم على إدراك العلاقات بينها وتوظيفها في أدائه اللغوي". (نصرة صالح، 2014، ص 78)

والتكامل بين فروع اللغة يشير التكامل بين فروع اللغة إلى التوازن بين مهارات اللغة الأربعة (القراءة، الكتابة، الاستماع، التحدث) في التعليم بحيث تُقدّم اللغة كوحدة متكاملة، دون أن تترجح مهارة على أخرى. بمعنى آخر، يجب تدريس اللغة على

طبيعتها، ككل واحد متكامل، بحيث تُلغى الفواصل الاصطناعية بين فروعها. وعليه، فإننا ننكر على اللغة حقيقتها إذا قمنا بتعليمها كشرائح معرفية منعزلة. لهذا، يعد التكامل أحد الأسس الأساسية لتطوير تعليم اللغة.

المطلب الأول: المناهج وتعلمها وفكرة التكامل والوحدة اللغوية:

الأسس اللغوية: تتماشى مع الواقع اللغوي وتسعى إلى استخدام اللغة بشكل صحيح. يتعلم المتعلم من خلال النصوص الواقعية التي يستخدمها، مما يعكس كيفية استخدام اللغة في الحديث والكتابة. إذ لا نحتاج إلى القاموس لتكوين الجمل، بل نستخدم اللغة في سياقاتها الطبيعية، حيث يجري الحديث بشكل متكامل يشمل جميع أبعادها من صوت وصرف ونحو ودلالة.

الإملاء والنحو والصرف والبلاغة والمعجم وغيرها، كلها تشكل وحدة واحدة. (بلعيد، 2008، ص59)

وهذا يتماشى مع طبيعة اللغة وخصائصها التركيبية، التي تعكس التكامل بين وحدات البناء اللغوي. إذ إن النظم الصوتية والصرفية والنحوية مترابطة بشكل وثيق، وتعتمد بعضها على الآخر في التحليل للوصول إلى نتائج دقيقة وصحيحة. (بشر، 1989، ص 159)

المطلب الثاني: المنهج التكاملي للتبريزي في شروح الحماسة:

واجه التبريزي صعوبة في جمع هذه الاتجاهات المختلفة في شرح واحد، حتى يتمكن طلابه من فهم معاني الشعر وظروفه التاريخية وجوانبه اللغوية والنحوية. ولذلك قرر أن يدمج أفضل خصائص هذه الاتجاهات في منهج واحد جديد، يتم فيه التنسيق والانسجام بين هذه الأبعاد المختلفة لتحقيق أفضل وظيفة شرح وغاياته المثلى. (قباوة، 1997، ص151)

وكان هدف التبريزي من هذا أن يصبح الكتاب مستقلاً بذاته، بحيث يستطيع القارئ الاستفادة منه دون الحاجة إلى الرجوع إلى غيره من الكتب التي تناولت شرح الحماسة. وعند التأمل في الكتاب بتمعن، يمكن ملاحظة أنه جامع لأغراض الكتاب ومعانيه، ومفيد للمطلع عليه. (الحافظ ابن جني 379/4، 380)

لذلك، اعتمد التبريزي في منهجه على التجميع والانتخاب والتنظيم، حيث أخذ من مؤلفات أسلافه أفضل وأهم ما فيها، وأعرض عن الشوائب والزوائد من غير العدل والظلم أن يُوصف التبريزي بأنه مجرد جامع لمواد من هنا وهناك.

إرهاصات التكامل في مؤلفات أسلاف التبريزي:

لا يعني هذا أن التبريزي كان مبتكرًا بالكامل في تقديم المنهج التكاملي في الشرح، بل إن هناك إشارات سابقة لهذا المنهج في بعض أعمال أسلافه. فعند قراءة سلسلة الشروح الشعرية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، من الصعب على القارئ تجاهل اللمحات التي كانت بمثابة تمهيد لمنهج التبريزي. ففي شرح الأنباري للمفضليات، نلمس توظيفًا مزدوجًا للغة والتاريخ، بينما في شرح ابن الأنباري للمعلقات تبرز العلاقة الواضحة بين اللغة والنحو. هذه كانت بمثابة بوادر لهذا المنهج في القرن الرابع الهجري. وقد تطور هذا الاتجاه بشكل بارز في القرن الخامس الهجري على يد المعرّي والواحدي، حيث ظهر شرح ابن العلاء على ديوان أبي تمام والمتنبي تطبيقًا جيدًا لهذا المنهج، كما تجلى هذا المنهج بوضوح في شرح الواحدي على ديوان المتنبي.

لكن ما ميز عمل التبريزي هو إتقانه لهذا المنهج من حيث التخطيط والتنفيذ؛ فقد رسم حدوده بوضوح وطبقها في عدة مؤلفات وهذه المؤلفات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية (قباوة، 1997، ص151):

1- الشروح الموجزة: وتشمل:

- شرح ديوان الحماسة الصغير.
- شرح مقصورة ابن دريد.
- مختصر شرح ديوان أبي تمام.

ويقتصر هذا القسم على الإيجاز والإجمال، حيث يتم التطرق بسرعة إلى اللغة والنحو والعروض والقوافي، مع إيراد بعض الأخبار التاريخية، مما يمثل المنهج التكاملي بشكل مكثف وصغير الحجم.

في الصفحات التالية، سأقدم نموذجًا تطبيقيًا لهذا المنهج التكاملي من خلال الشرح الصغير للحماسة، مع التركيز على حماسية السموأل بن عادياء.

2- الشروح المتوسطة: وتشمل:

- الشروح الموجزة:
- شرح بانت سعاد.
- شرح سقط الزند.
- شرح لامية العرب.

3- الشروح المطولة:

أ- شرح ديوان الحماسة الأوسط: سأعرض هنا شرح التبريزي لهذه الحماسية، خاصة حماسية السموأل بن عادياء، لتوضيح ملامح المنهج التكاملي في سياق أوسع وأكثر تفصيلاً.

ب- شرح اختيارات المفضل.

ج- شرح ديوان أبي تمام.

د- شرح ديوان المتنبي.

هـ- شرح المعلقات العشر.

المبحث الثالث: رؤى التبريزي المنهجية والمعالجات الصوتية في منهج التبريزي:

المطلب الأول: رؤى التبريزي المنهجية لتعليم اللغة العربية في عصر المستجدات والمعلومات:

من أبرز مظاهر المنهج المعياري للتبريزي في شرح "الحماسة" هو اعتماده على بعض المعالجات اللغوية التي تُظهر اتخاذه لهذا المنهج وسيلة في شرحه التعليمي. ومن هذه المظاهر:

– الاختيار بين بعض القبائل واللهجات: حيث اتخذ التبريزي من بعض اللهجات مرجعية لغوية وترك غيرها، خاصة فيما يتعلق بالمفردات والتراكيب. فقد اعتمد على لهجة قبيلة طيء، التي تعتبر من القبائل الفصيحة لدى اللغويين والنحاة العرب، حيث تُعد مرجعية في أخذ اللغة عنها. (بشر، 1989، ص 460)

من أبرز المظاهر في شرح التبريزي اعتماده على بعض المعالجات اللغوية التي تُظهر اتّباعه للمنهج المعياري، ومنها:

1. الاستناد إلى لهجات معينة: فقد ذكر التبريزي نماذج من لهجة قبيلة طيء في شرح بعض الأبيات، كما في قوله عن البيت: "بنت على الكرم"، حيث بيّن أن "أصله بنيت"، مفسرًا ذلك بأن طيئًا تستخدم هذه الصيغة بدلاً من "بنيت" بسبب إبدال

الكسرة في بعض الكلمات بفتحة، كما في "بقي: بقا" و"رضي: رضا" و"بادية: باداة"، حيث يفرون من الكسرة بعد الياء ويحولونها إلى الفتحة، ما يُظهر طبيعة لغتهم المميزة. (عبد التواب، 1985، ص230)

2. الاعتماد على التقدير والافتراض: وقد استخدم التبريزي هذه الطريقة في شرح بعض الأبيات، حيث كان يقدّر الجمل أو الافتراضات التي تتعلق بتوجيه الكلمات إعرابيًا، فيمكن أن تؤدي هذه العملية إلى إخراج الجمل من حيز المعقول والمفهوم إلى حيز اللامعقول. (زوين، 2006، ص30-31)

على سبيل المثال، في شرح بيت الشاعر:

"ولم ندر إن حِضنا من الموتِ جَيْضةٌ كم العمر باقٍ والمدى متطاول"

فشرح التبريزي التقدير بأن "لم ندر إن حِضنا ومدانا متطاول كم العمر باقٍ".

كما شرح قول سعد بن ناشب:

"وأذهل عن داري وأجعل قدمها لعِرض من باقي المذمة حاجبًا"

حيث قدّر كلمة "حاجبًا" بأنها مفعول ثانٍ لأجعل، بمعنى "أصبر"، فيكون التقدير: "أجعل هدمها حاجبًا لعرضي".

3. الإشارة إلى القضايا العروضية: تضمن الشرح أيضًا بعض القضايا العروضية المخالفة للقواعد النحوية، مثل الضرورات الشعرية المعروفة، التي يستخدمها الشعراء لإتمام الوزن أو تحسين إيقاع الأبيات. (الحافظ ابن جني، 71/1)

من أبرز النقاط في شرح التبريزي هو تحليله لبعض الأبيات الشعرية، مثل تعليقه على حماسية الرويشد بن الطائي التي تبدأ بالبيت:

"يا أيها الراكبُ المزجي مطيتَه سائلْ بني أسدٍ ما هذهِ الصوتُ؟"

حيث قال: "هذه الأبيات شاذة في الشعر القديم؛ لأن العادة قد جرت في الشعر عندما يُستعمل هذا الوزن أن يكون اللين فيه كاملاً، أي أن يكون قبل الروي ألفًا أو واوًا قبلها ضمة، أو ياء قبلها كسرة. ولكن هنا جاء الروي بالواو وما قبلها مفتوح". (الحافظ ابن جني، 164/1)

كما قام بتحليل عروض بيت جعفر بن علبة:

"إذا ما ابتدرنا مأزقًا فرجت لنا بأيماننا بيضٌ جلبتها الصياقل"

وأوضح التبريزي أن استخدام "حلبتها الصياقل" هو ضرورة عروضية، حيث بيّن أن السيوف لا يمكن أن تُجلى إلا من قبل الصياقل، وبالتالي لا معنى لذكر الصياقل هنا سوى تحقيق الوزن الشعري، إذا لم يكن هناك معنى آخر لذكرهم.

هذه أمثلة على بعض المظاهر المعيارية التي اعتمد عليها التبريزي في منهجه التعليمي. والسؤال الآن هو: كيف يمكننا الاستفادة من منهج التبريزي في تعليم اللغة العربية لبناء منهج تعليمي يناسب المتعلمين في عصرنا الحالي، الذي يتميز بالمستجدات والتطورات المعلوماتية؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب تعاونًا علميًا بين المتخصصين في اللغة العربية والتربويين، مع الاستناد إلى أصول منهج التبريزي كركائز أساسية لبناء منهج تعليم متكامل يجمع بين الأصالة والمعاصرة. خاصة في ظل الظروف الراهنة التي يمر بها العالم، بما في ذلك جائحة كورونا التي فرضت تغييرات واسعة في كافة المجالات، بما في ذلك التعليم. إذ اتجهت معظم دول العالم إلى نظام التعليم عن بُعد كإجراء احترازي يتماشى مع تدابير التباعد الاجتماعي للحد من انتشار الفيروس.

المطلب الثاني: المعالجات الصوتية في منهج التبريزي وأثرها في تعليم اللغة العربية

اهتم التبريزي بالمستوى الصوتي في منهجه التعليمي من خلال شروحه الدراسية، والدليل على ذلك يظهر في قراءة المتعلمين للدواوين الشعرية التي شرحها. حيث قال في مقدمة شرحه لديوان الحماسة: "فرأيت أكثر من يقرأ عليّ هذا الكتاب يرغب في شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك".

إذن، كانت طريقة التعليم تعتمد على المنهج الفطري، حيث يبدأ المتعلم بالقراءة على شيخه، ما كان صحيحًا أقرَّه، وما كان خطأً صحَّحه.

ويُمكن استثمار منهج التبريزي في تعليم الجانب الصوتي في عصرنا الحديث من خلال النقاط التالية:

1- قراءة النصوص الأدبية القديمة وما نسج على منوالها في العصور المختلفة قراءة واعية مع حفظ العديد من هذه النصوص الجيدة، سواء كانت شعرًا أو نثرًا، وعلى رأس هذه النصوص بالطبع يأتي نص القرآن الكريم. وبذلك تتكون الملكة القادرة على محاكاة النصوص والنسج على منوالها.

2- بما أن اللغة ملكة سماعية يتعلمها الإنسان عن طريق السمع، فكلما سمع المتعلم اللغة، زادت قدرته على نطقها وممارستها. لذلك، يجب تفعيل دور معامل اللغات كطريقة فعالة في تعليم اللغة، من خلال إسماع التلاميذ أكبر قدر ممكن من النصوص الصوتية. (عبد التواب، 1985، ص230)

وقد أكد ذلك الدكتور كمال بشر بقوله: "والعادة أن اللغة لا تُعلم مكتوبة، وإنما تستغل في تقديمها خبرات السماع والقراءة والحديث والكتابة جميعًا". (بشر، 1989، ص 119)

3- تتمثل البداية الحقيقية للارتقاء بالجانب الصوتي في تعليم العربية في فن "نقل الدرس اللغوي في المستويات التعليمية المختلفة من المعرفة النظرية إلى الممارسة العملية للغة. فالنطق الصحيح في إطار القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية هو السبيل الفعال لتحسين الأداء اللغوي بالعربية".

والسبيل لتحقيق هذا الهدف يتمثل في تحويل اللغة المكتوبة إلى لغة منطوقة؛ لأن "اللغة المكتوبة هي التي تحفظ العلم والأدب ووجوه الحضارة الأخرى من الفناء وتضعها بين يدي الدارسين من طلاب وباحثين". (داود، 1998، ص273)

ظروف العصر ومتغيراته تجعلنا "في أشد الحاجة إلى الكلمة المنطوقة بوصفها الوسيلة الأولى للتوصيل والتحصيل والوقوف على ما يجري في الحياة من الداخل والخارج على سواء"، خاصة بعد تفشي فيروس كورونا في جميع أنحاء العالم، والحرص على حفظ النفس وسلامتها من خطر الإصابة بهذا الفيروس الخفي. (خرما، 1997، ص94)

وقد اقتضى ذلك أن يكون التواصل اللغوي بين جميع الأوساط بلغة سهلة وواضحة لتلبية الحاجات بين كافة الأطراف. ولتحقيق هذا المطلب التيسيري ينبغي:

أ- تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية أثناء التعلم من أنفع السبل للتمكن من نطق الكلمة نطقًا سليمًا.

ب- إلزام المطابع الحكومية بكتابة النصوص مُشكَّلة لمستوى التعليم الأساسي لتحري النطق السليم للكلمة.

وتجدر الإشارة إلى أن اهتمام اللغويين العرب بالجانب الصوتي في تعليم العربية يرجع إلى عدة دوافع منها:-

1- أن الجانب الصوتي هو "الأساس الذي يقوم عليه بناء مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها، بل وأدبها كله شعرًا ونثرًا". لذلك، عبَّر الدكتور بشر عن ذلك بقوله: "كانت للكلمة المنطوقة عند العرب في القديم موقع خاص ودور بالغ الأهمية، فهي الأداة الرئيسية في أداء اللغة ونشرها في المجتمع عبر اللسان المتقن".

2- ويعد الجانب الصوتي وسيلة من وسائل تعليم اللغات القومية والأجنبية. (بشر، 1989، ص 119)

3- كما يعتمد على الجانب الصوتي في تفسير بعض الظواهر اللغوية الصرفية والنحوية والدلالية. ولذا، نجد أن المسائل الصوتية جاءت ممتزجة مع المسائل الصرفية في شرح التبريزي لديوان الحماسة، مثل قضايا الإدغام والإبدال والقلب.

4- من وسائل الارتقاء بالمستوى الصوتي كثرة الاستماع إلى النصوص اللغوية الفصيحة من خلال أعلام الأداء اللغوي الفصيح، مثل: الدكتور عبد الصبور شاهين، والدكتور محمود الطناحي، والأستاذ فاروق شوشة، الذين يمثلون الخواص الصوتية للعربية تمثيلاً صادقًا.

5- كما يجب الاهتمام بالأنشطة اللغوية التعليمية التي تقوم على المشافهة، مثل الخطابة وإجراء الحوار وفن التقديم. (الحافظ ابن جني، 164/1)

3. خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي تناولت منهج التبريزي في تحليل اللغة العربية وتفسير قواعدها، يتضح لنا أن التبريزي كان من العلماء الذين اهتموا بربط جوانب اللغة المختلفة، مُؤَسِّسًا لأسس تحليل لغوي متكامل يراعي التفاعل بين النحو والصرف والمعنى، وكذلك العلاقة المتينة بين اللغة الأدبية والنقد اللغوي. لقد كانت شروحاته على ديوان الحماسة نموذجًا يُظهر كيف يمكن للدرس النحوي أن يكون أداة قوية لفهم وتوجيه المعنى، وهو ما تجسد في استخدامه للمنهج الوظيفي الذي يُعنى بتوجيه الفهم اللغوي في سياقات معاصرة.

كما أن التبريزي اعتمد على تحليل الظواهر الصوتية كمدخل لفهم البناء الصرفي، حيث تبنى نظرية النظم التي أوضحها معلمه عبد القاهر الجرجاني في تفسيره للعلاقات المعقدة بين الكلمات والتراكيب في النصوص الأدبية. وبهذا أرسى التبريزي قواعد تفسيرية تفتح آفاقًا جديدة لتعليم اللغة العربية باستخدام منهج متكامل، يشمل جميع مستويات اللغة من الصوت والصرف والنحو، وصولًا إلى الدلالة.

من خلال منهج التبريزي، نجد أن العمل اللغوي لا يُعنى بتدريس القواعد في معزل عن النصوص الأدبية، بل من خلال دمج النظرية بالممارسة، إذ يُبنى الفهم الكامل للغة على قراءة النصوص وفهم تركيبها، مما يساهم في تكوين ملكة لغوية حية لدى المتعلم. كما كان التبريزي من المدافعين عن تبسيط اللغة وتوضيحها لطلاب العلم، وهو ما تجلى في أسلوبه الميسر الذي اهتم بتقريب المعاني النحوية والصرفية إلى أذهان الطلاب، بعيدًا عن التعقيدات النظرية التي كانت سائدة في عصره.

وإذا ما انتقلنا إلى تطبيق منهج التبريزي في سياقنا المعاصر، فإننا نجد أن العديد من المفاهيم التي تبناها تظل حيوية وذات صلة في عصرنا الحديث، خاصة في ظل التحديات التي يواجهها تعليم اللغة العربية في العصر الرقمي. إن اعتماد التبريزي على تحليل النصوص الأدبية من خلال أسس لغوية صارمة يُعدُّ نموذجًا يمكننا أن نبني عليه عند تدريس العربية للأجيال القادمة، خصوصًا في ظل الحاجة إلى تعزيز الفهم اللغوي بشكل يواكب تطورات العصر.

كما أن ربط الدراسة النحوية بالصوتيات والصرف يعتبر من الأسس المهمة التي تعزز القدرة على فهم القواعد وتطبيقها، خاصة في زمن تعتمد فيه وسائل التعليم الحديثة على استخدام التكنولوجيا والتواصل الرقمي. فمن خلال التركيز على الجوانب الصوتية والنحوية في تدريس العربية عن بُعد، يمكن تحقيق التكامل بين القديم والحديث، وتحقيق الهدف الأسمى وهو تعليم اللغة العربية بأسلوب يواكب مستجدات العصر.

وبناءً على ذلك، يتضح لنا أن منهج التبريزي في تدريس اللغة العربية ليس مجرد تفسير لنصوص قديمة، بل هو رؤية تعليمية يمكن أن تُؤثِّر في تطوير المناهج اللغوية المعاصرة. وفي هذا السياق، نؤكد على أهمية العودة إلى هذا التراث اللغوي الثري، والعمل على تكييفه بما يتناسب مع التحديات المعاصرة، ليظل عنصرًا حيويًا في تطور الفكر اللغوي والتعليم العربي.

4. نتائج البحث:-

1- تخذ التبريزي من الدرس الصوتي مدخلًا لتحليل الظواهر الصرفية مثل الإدغام والإبدال والقلب. وقد كشفت الدراسة عن جهده في تحليل المسائل الصرفية من خلال مناقشة بنية الكلمة أو متابعة أصولها الاشتقاقية أو أوجه إعرابها، مما أثر بشكل واضح في توجيه المعنى.

2- تجلت العلاقة الوثيقة بين النحو والشعر في شرح التبريزي، حيث كان فهم المعنى النحوي الدلالي أساسًا متينًا لتحليل العمل الأدبي تحليلاً لغويًا دقيقًا. كما مثل شرح الحماسة سجلًا تطبيقيًا لنظرية النظم التي أخذها التبريزي عن معلمه عبد القاهر الجرجاني، وذلك من خلال توضيح قيمة التعليق النحوي في تحديد الدلالة وتوجيه المعنى.

3- عالج التبريزي المسائل النحوية بطريقة وظيفية وسياقية تخدم المعنى وتوضح أبعاد المسألة باقتضاب، مما يحقق غايته التعليمية. ولم يتأثر التبريزي بالفلسفة اليونانية أو المنطق الأرسطي في شرحه، بل مال إلى التيسير والتوضيح لطلابه، تحقيقًا للغرض التعليمي، رغم أنه عاش في القرن الخامس الهجري الذي اشتهر فيه العلماء بعنايتهم بالفلسفة والمنطق.

5. توصيات البحث:

في ضوء ما تم استعراضه في هذا البحث ونتائجه توصي الباحثة بمجموعة من التوصيات أهمها:

- الاستفادة من منهج التبريزي في تدريس اللغة العربية من خلال الربط بين المستويات الصوتية والصرفية والنحوية لزيادة الفهم العميق للنصوص.

- استخدام النصوص الأدبية كأساس لتوضيح القواعد النحوية والصرفية بشكل تطبيقي يسهم في ترسيخ الفهم لدى المتعلمين.

- تبسيط الشروحات اللغوية من خلال اعتماد أسلوب تعليمي واضح وسهل، بعيدًا عن التعقيد الفلسفي، لضمان استيعاب المتعلمين للمفاهيم اللغوية بسلاسة.

- التأكيد على دور القواعد النحوية في فهم النصوص الأدبية وتحليلها، مما يعزز قدرة الطلاب على التفسير الدقيق للنصوص.

- تطوير أساليب تدريس النحو والصرف من خلال الاستفادة من منهج التبريزي في تحديث مناهج تدريس النحو، خاصة في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة.

5. المراجع

1. ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1970). شرح الحماسة. دار المعارف.
2. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (1969). لسان العرب. دار الفكر العربي.
3. بشر، كامل. (1989). العربية بين الوهم وسوء الفهم. دار إحياء التراث العربي.
4. بلعيد، صالح. (2008). دروس في اللسانيات التطبيقية. دار النهضة العربية.
5. التبريزي، يحيى بن علي. (2005). مقدمة تهذيب إصلاح النطق. دار الكتب العلمية.

6. خليفة، حسن. (1970). كشف الظنون. دار إحياء التراث العربي.
7. الراجحي، عبد العال. (1980). علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. دار الفكر للنشر والتوزيع.
8. صالح، منى. (2014). أثر استخدام وحدة ثرية قائمة على المدخل التكاملي في تنمية مهارات الأداء اللغوي لطالبات الصف الأول الثانوي في الجمهورية اليمنية (الرسالة الجامعية).
9. عبد التواب، رمضان. (1985). بحوث ومقالات في اللغة. دار الكتب العلمية.
10. عمر، أحمد مختار. (1974). البحث اللغوي عند العرب. دار الكتب العلمية.
11. عياد، محمد. (2004). دراسات في اللسانيات التطبيقية. دار المعارف.
12. القاضي، أحمد. (2006). معجم المصطلحات التربوية. دار المعارف.
13. قياوة، فاطمة دويدار. (2005). منهج التبريزي في شرحه. دار الفكر العربي.
14. محمد، عبد الله. (1993). تعليمية اللغة العربية. مكتبة لبنان.
15. مراد، حسن. (1990). التكاملية في تعليم اللغة العربية. دار النهضة العربية.
16. يونس، فؤاد. (2006). التواصل اللغوي والتعليم. دار الكتب الفكر العربي.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v6.64.9